

مواويل للنيل المهاجر

حسن فتح الباب

كنتُ صغيراً
حينَ كانَ النيلُ والبحرُ كبيرينِ
رداءينِ لمنَ يحملُ أسرارَ العبورِ
الموجُ يعلوني
الموجُ عالمي الغريرِ
وانشقَّ بيننا قمرُ
(اسكندرية) الغمامة التي تَبَرَّجتْ
عُصفورة زرقاء
قلْبك نبعُ أرجوانيٍّ . . وحُبِّي
شَفَّة صَمَاء

* * *

كنتُ حواريَّ السماءِ قَبْلَ أنْ
أحمِلَ أكفاني وُصْلاني
صَفِيَّ الأنبياءِ
وحيثما نَفَضْتُ أوزاري
وأوغلتُ بي رحلةَ الفراقِ
في رحلةِ النارِ
نكلتُ تحتَ النيلِ أشعاري

* * *

ما تملكين من فُؤادي بَعْدَما
تناثرتُ حَبَاتُهُ بينَ طَوَاجِينِ الفِراقِ
شِلوْأ على يَدِي
على قَبْرِ أبي
صَدْرِ الرَّفاقِ
شِلوْأ على لَحْدِي

حينَ اقتَسَمْنَا مهنةَ المَنفَى
كانَ نسيْمُ النيلِ في حُلوقنا
مِلْحاً . . مياهُ النيلِ في العروقِ
طَمِيماً . . نجومُ النيلِ جُرْحاً
كانَ الهواءُ والترابُ صحرةً
مِلءَ الضلوعِ
كانا تراتيلَ الدراويشِ
عجيبِ الفقراءِ
وكانَ حُلْمُ الغُرباءِ
مُضغَةً من الجنونِ
حَفَّتِي شَفَقُ

جمراً وياسمينِ

ملءَ الأواني المُسْرَجَاتِ بالحنينِ والعرقِ

* * *

كانَ نسيْمُ الليلِ مَوَّالاً لها
كانَ النشيجُ
وشَمَ حريقِ في ذراعِها
على الصدرِ الذي أَرَضَعَنِي
على العُنُقِ

(سيارةُ الإسعافِ) كانتَ صَرَخَاتِ الجارةِ العمياءِ

والتنويرِ والصُدْرِ الجدارِ

ذكرى (الرِّفاعيِّ) ^(١) الذي ليسَ ينامُ

وَكُرّاً وأفراخَ حمامِ

و(قَلَّة) . . وَحَجَرَ أَفْعوانِ

* * *

وَحَدِّكَ يَا قَاهِرَتِي
مَدِينَتِي الْمُنَوَّرَه
أَموتُ رَهْنَ الشُّهَدَاءِ يَا مُطَهَّرَه
بَيْنَ قِبَابِ النَّاصِرَه
وَأَغْنِيَاتِ الشُّعْرَاءِ السُّجَنَاءِ

* * *

لَسْتُ صَرِيحَ الْحُبِّ لَكِنِّي أَنَا الشَّفِيعُ
لَسْتُ شَفِيعَ الْبَغْضِ لَكِنِّي أَنَا الصَّرِيحُ
فَانْتَشِرُوا فِي خُطُوتِي
ضَعُوا عَلَيَّ لِحْدِي بِقَايَا عَالَمِي
وَنَقَرُوا تَحْتَ جِيَاضِ مُهْجَتِي
صَلُّوا عَلَيَّ دَمِي
فَوْقَ جَنَاحِ شَمْسِنَا السُّودَاءِ
وَاجْتَسِلُوا فِي مُقَلَّتِي بِلَا دُمُوعِ

* * *

انْتَظِرُوا الَّذِي يَحِينُ بَعْدَنَا
وَرَدًّا عَلَيَّ نَجِيعِ
شَمْسًا مِنَ الْحَرِيقِ
وَانتَشِرُوا فِي خُطُوتِهِ
طِفْلًا وَلَا أَفْعَى
شَيْخًا وَلَا مَنْفَى
وَاسْتَقْبِلُوهُ بِالرَّبِيعِ
وَالنَّيْلِ وَالْهَدِيلِ وَالشَّمُوعِ
أَنْتَشِرُوا
وَأَنْتَصِرُوا

وهراڤ

هوامش:

- (١) الرفاعي: الدرويش الذي يستخرج الأفاعي من الشقوق بالتعاون والرقى في معتقد الطبقة المسحوقة من سكان الأحياء الشعبية نسبة إلى الإمام الرفاعي من كبار المتصوفة في التاريخ العربي المصري.
- (٢) العلالى: من العامية المصرية بمعنى الاعالى إشارة إلى موال «با نخلتين في العلالى».

على ذراعها؟

أَيْتُهَا الْيَمَامَةُ الْمُهَاجِرَه
فِرَاشَةٌ مَدْعُورَةٌ عَلَيَّ الشَّفَقُ
مَنْ أَيْنَ لِي أَغْنِيَةٌ عَلَيَّ الطَّرِيقُ
وَلَا عِنَاقَ لَا وَدَاعَ لَا طَرِيقُ
وَبَيْنَنَا شِلُّوْ هِلَالٍ يَخْتَرِقُ

* * *

أَيْتُهَا الْحَمَامَةُ النَّيْلِيَّةُ الْمُطَوَّقَةُ
فَوْقَ سَرِيرِ النَّخْلِ مَا بَيْنَ (العلالى) (١) وَاللِّيَالِي الشَّبِيقَةُ
تَنْتَظِرِينَ عَوْدَتِي
أَنَا الَّذِي مَا أَبْحَرْتُ سَفِينَتِي
حَتَّى أَعُودَ؟
حِينَ التَّقِينَا كُنْتُ فِي الْقَاعِ
بِلَا سَفِينِ
رِيحًا وَلَا شِرَاعِ
يَجْرِي عَلَيَّ النَّيْلِ
كَهْفًا وَلَا سِرَاجِ
يَحْدُو مَوَاوِيلِي
وَبَيْنَنَا ذِكْرِي
فَانْتَظِرِينِي كِي أَعُودُ

* * *

يَحْتَشِدُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَشْقِيَاءِ
فَوْقَ مِيَاهِ النَّيْلِ فَوْقَ الْغُرَبَاءِ
وَالتَّابِعُونَ الْقَابِعُونَ
تَحْتَ مِيَاهِ النَّيْلِ رَهْنَ الْأَوْلِيَاءِ
وَهَا أَنَا وَحْدِي عَلَيَّ الْأَعْرَافِ
مَنْفِيًّا أَغْنِي
حُلْمَ بِلَادِي وَالْعَذَابِ
يَا حَمَامَتِي الْمُطَوَّقَةُ
رَهْنِكَ يَا حُلْمَ التَّرَابِ وَالسَّحَابِ
يَا وَحِيدَتِي الْمَفَارِقَةِ
وَحْدِي يَا يَمَامَتِي الْمُهَاجِرَةِ